﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾

[هود: 103 - 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

عــذابُ الـدُّنيـا لحفظِ المؤمنين لا لمــجــازاة الظّالمين

هاتان الآيتان متّصلتان بما قبلهما "من أجل بيان العبرة من قصص الأمم الظّالمة، فبعد أن ذكر الله تعالى العبرة من إهلاك الأمم الظّالمة في الدُّنيا، ذكر هنا العبرة بجزاء الآخرة لكل من الأشقياء والسُّعداء، وهي إقامة الدَّليل على صدق الأنبياء وصدق وعد الله في الآخرة، والتَّرهيب من عصيان الله والكفر به"[1]، فالمناسبة بين هاتين الآيتين والسّابق هو إردافُ الحديثِ عن عذابِ الآخرةِ بعد الحديثِ عن عذاب الدُّنيا، وفيه دفع توهّم أنَّ العذابَ النّازلَ بالنّاس في الدُّنيا هو جزاؤهم، بل هو بدايتهم، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّشْهُودٌ﴾: "الشّينُ والهاءُ والدّالُ أصْلٌ يَدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعْلامٍ"[2]، والشهيد: هو الذي لا يَغيبُ عَنْ عِلْمه شيءٌ، والشَّهادَةُ خَبرٌ قاطعٌ وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، أي: مَحْضورٌ يَحضُره أهل السماءِ والأرض، ومثْلُهُ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: 78]"[3].

2) ﴿لِأَجَلٍ﴾: الأجل الوقت المضروب لانقضاء الشَّيء، ولا يكون

(1) الزحيلي، التفسير المنير: 12/147.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).

أجلًا بجعل جاعل، وما علم أنه يكون في وقت فلا أجل له إلا أن يحكم بأنَّه يكون فيه، وأجلُ الإنسانِ هو الوقت لانقضاء عمره، وأجل الدَّين محله وذلك لانقضاء مدة الدَّين، وأجل الموت وقت حلوله، وذلك لانقضاء مدَّة الحياة قبله، فأجل الآخرة: الوقت لانقضاء ما تقدَّم قبلها قبل ابتدائها[1].

3) ﴿مَّعۡدُودٍ﴾: من عَدَّ "والعَدَدُ: آحاد مركّبة، وقيل: تركيب الآحاد، وهما واحد فذِكْرُهُ للعَدَدِ تنبيه على كثرتها، والعَدُّ ضمُّ الأعْدادِ بعضها إلى بعض، ويتجوّز بالعَدِّ على أوجه، يقال: شيءٌ مَعْدودٌ ومحصور، للقليل مقابلة لما لا يحصى كثرة، وعلى ذلك: ﴿إِلَّآ أَيَّامَا مَّعۡدُودَةٗ﴾ [البقرة: 80]، أي: قليلة، لأنّهم قالوا: نعذّب الأيّام التي فيها عبدنا العجل، ويقال على الضِّدِّ من ذلك، نحو: جيشٌ عَديدٌ: كثيرٌ، وإنهم لذو عَدَدٍ، أي: هم بحيث يجب أن يُعَدّوا كثرةً، فيقال في القليل: هو شيء غير مَعْدودٍ، والعِدَّةُ: هي الشَّيء المَعْدودُ" والمعنى: أجل محدود منتهٍ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العبرةُ العظمى والآيــة الـكبرى خــوفُ الآخــرة ورجاءُ الجنَّة

"إنَّ في ذلك القصص المتقدِّم المتضمِّن إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين لدليلًا واضحًا وحجَّة قويَّة على صدق وعد الله في الآخرة، لمن يؤمن بها ويخاف عذابها، فيتَّقي الكفر والظُّلم والعصيان في الدُّنيا لأنَّه يعلم أنَّ ما أخبر به الأنبياء من البعث والجزاء صدق لا شكَّ فيه، وأنَّ من عذَّب الظّالمين في الدُّنيا قادر أن يعذّبهم في الآخرة، وأنَّ ما أصاب المجرمين في الدُّنيا ما هو إلا أنموذج لعذاب الآخرة"[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 289.
(2) الرّاغب، المفردات: (عدَّ).
(3) الزحيلي، التفسير المنير: 12/147.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغَةُ الاستئنافِ:

مقصودُ المتقدِّم الاعتبارُ للقادم

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِۚ﴾ استئنافٌ، فاللّه تعالى أخبر في هذه عن الحشر وما يكون فيه، إشارةً "إلى تحقّق أمر الآخرة، وأنّه مما ينبغي الاهتمام به ردًّا للمقطع على المطلع، وإعلامًا بأنه لا فرق بينه وبين ما تحقّق إيقاعه من عذاب هذه الأمم في القدرة عليه"[1].

غرضُ التأكيدِ:

تنبيهُ المخاطَبين على الحقيقِ بالاعتبارِ

لمّا كان النَّبأ العظيم والقصص والمواعظ التي مرَّت حكاية عن أحوال المتقدِّمين من الأمم وما وقع لهم من عذاب الدُّنيا علامة عظيمة ودلالة قاطعة، وكان وجود الشَّيء عدمًا بالنِّسبة إلى ما نفع له به، نُزِّل غير المنكر منزلة المنكر، فجاء توكيد الخبر لهم بحرفِ ﴿إِنَّ﴾ واللّام، لردِّ هذا الإنكار، فجعل اللّه تعالى عذاب الدُّنيا علامةً دالَّةً على عذاب الآخرة.

بلاغةُ استعمال اسم الإشارة:

الاعتبارُ في منزلةٍ عاليةٍ لا يبلغُها إلا المؤمنون

أوثر التَّعبير بـ (ذا) مقترنًا بلام البُعد وكاف الخطاب، إشارةً إلى الأَخْذِ المُتَقَدِّم، من تعذيبِ الأمم السّابقةِ، وإيثارُ البعيد لبيانِ أنَّه في منزلةٍ بعيدةٍ وعظةٍ وعبرةٍ تحتاج إلى نظرٍ وإجلال.

نكتةُ اختيارِ ﴿لَآيَةً﴾:

شأنُ الآيةِ التَّنبيه على مواضع الاعتبار

اختار النَّظمُ لفظَ ﴿لَآيَةً﴾ إيماءً إلى أنَّ التَّعبير بالآية دومًا يُلقي في النَّفس العبرة المترتِّبة على أمرٍ قد سبق، وما سبق هنا إهلاك القرى الظّالمة.

غرضُ تنكير ﴿لَآيَةً﴾:

نُكِّرَ لفظُ ﴿لَآيَةً﴾ للدّلالةِ على التَّعظيم، أي: آية عظيمة، ودلالة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/372.

بيِّنة، وإنَّما كان آية له لأنَّه إذا نظر إلى إهلاكه للظّالمين إهلاكًا عامًّا بسبب ظلمهم وإنجائه للمؤمنين، علم أنَّه قادر على ما يريد، وأنَّه لا بُدَّ أن يجازي كلًّا بما فعل[1].

آيــةٌ عظيـمةٌ لعموم نفعِها

بلاغة التخلُّص في المطلعِ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ تَخلُّصٌ إلى مَوْعِظَةِ المُسْلِمينَ والتَّعْريضِ بمَدْحِهم بأنَّ مثْلَهُم مَنْ يَنْتَفِعُ بالآياتِ ويَعْتَبِرُ بالعِبَرِ، كَقولِهِ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43][2]، وقد جاء التَّعريض في قوله تعالى: ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال الزمخشري – رحمه الله –: لعبرة له، لأنَّه ينظر إلى ما أحلّ الله بالمجرمين في الدُّنيا، وما هو إلا أنموذج ممّا أعدَّ لهم في الآخرة، فإذا رأى عظمه وشدّته اعتبر به عظم العذاب الموعود، فيكون له عبرة وعظة ولطفًا في زيادة التَّقوى والخشية من الله تعالى. ونحوه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: 26][3].

المـؤمـنـون هم المعتبِرون بنزولِ العذابِ

فكأنَّه في هذه الآية يُعرِّضُ بمدح الخائفين الوجلين حين يطرق آذانهم هلاك الأمم السّابقة فينزجرون وترعوي أنفسهم وقلوبهم وجلًا وخشية من لحوق هذا العذاب بهم.

سرُّ إيثار لفظِ الخوف:

آثر النَّظم ذكرَ الخوفِ في قولِه تعالى: ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، والمقصود التَّصديق بعذابِ الآخرة، "لما بينهما من اللُّزوم، ولأنَّ الاعتبار إنَّما ينشأ من الخوف، وذكر هذا القيد لأنَّ مَن أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم أسند الحوادث إلى أسباب فلكيّة وأوضاع مخصوصة، فلم يعتبر بذلك أصلًا، ولم ينزجر عن

مَن خاف أدلج

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 9/372.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/160.
(3) الزمخشري، الكشاف: 2/292.

الضَّلالة قطعا، وقال: إنَّ ما وقع إنَّما وقع لهاتيك الأسباب والأوضاع لا للمعاصي التي اقترفتها الأمم المهلَكة"[1].

فائدة الاعتراض:

التَّنويه بيوم القيامةِ

جاءت هذه الجملة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ معترضةً للتَّنويه بشأن هذا اليوم، حتَّى إن المتكلِّم يبتدئ كلامًا لأجل وصفه، وهذه الجملة خبر عن حشر الخلائق يوم القيامة.

بلاغةُ تذكير اسم الإشارةِ وتَكراره:

تعظيمُ زمانِ القيامةِ وتهويلُه

"الإشارَة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الآخِرَة لأنَّ ماصدقها يَوْمُ القيامَةِ، فتَذْكيرُ اسْم الإشارَةِ مُراعاةٌ لِمَعْنَى الآخِرَةِ"[2]، قال البقاعي: "وزاد في الإشارة إلى تهويله بإعادة اسم الإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي اليوم العظيم الذي يكون فيه عذاب الآخرة"[3].

بلاغةُ استعمالِ الاسميَّةِ:

ثبوتُ الجمعِ يومَ القيامةِ لا فرارَ منه

دلَّ اسمُ المجموعِ في قوله تعالى: ﴿مَّجۡمُوعٞ لَّهُ﴾ على الثّبوت والاستمرار، فدلّ ذلك على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنَّه لا بُدَّ أنْ يكون ميعادًا مضروبًا لجمع الناس، قال الطّاهر بن عاشور: "ومَجيءُ الخَبَرِ جُمْلَةً اسْميَّةً في الإخْبارِ عَنِ اليَوْم يَدُلُّ على مَعْنَى الثَّباتِ، أيْ: ثابتٌ جَمْعُ اللّه النّاسَ لِأجْلِ ذلك اليَوْم، فيَدُلُّ على تَمَكُّنِ تَعَلُّقِ الجَمْعِ بالنّاسِ، وتَمَكُّنِ كَوْنِ ذلك الجَمْعِ لِأجْلِ اليَوْم حَتَّى لُقِّبَ ذلك اليَوْمُ (يوم الجمع) في قولِهِ تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: 9]"[4].

وقال الآلوسي: "عدل عن الفعل - وكان الظّاهر - ليدلّ الكلام على ثبوت معنى الجمع، وتحقُّق وقوعه لا محالة وأنَّ النّاس لا ينفكّون عنه فهو أبلغ من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: 9]

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/138.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 12/159.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/381.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/159، 160.

وإيضاحه أنَّ في هذا دلالة على لزوم الوصف ولزوم الإسناد، وفي ذلك على حدوث تعلُّق الجمع بالمخاطبين واختصاصه باليوم ولهذا استدركه بقوله: الجمع فأضاف اليوم إليه ليدلّ على لزومه له وإنَّما الحادث جمع الأوّلين والآخرين دفعة"[1].

فائدة تقديم الجارّ والمجرور:

علَّةُ جمعِ النّاس الحساب

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَّهُ﴾ لامُ التَّعليل، والمعنى: مجموع النّاس لأجله، ويقدّم المسند على المسند إليه لتخصيصه به وقصره عليه، فالجمع لهذا اليوم لخصوصيّته، إذ هو مجمعُ الخلائق يُجمَعون فيه لأجل محاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم.

فائدة عطف جملة ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾:

وغـدًا تنكشف الحقائق وتُشْهَدُ الخفايا

"عَطْفُ جملة ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ على جملة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾، لِزيادَةِ التَّهْويلِ لِلْيَوْم بأنَّهُ يُشْهَدُ، وطويَ ذِكْرُ الفاعِلِ إذِ المُرادُ يَشْهَدُهُ الشّاهِدونَ، إذْ ليْسَ القَصْدُ إلى شاهِدينَ مُعَيَّنينَ، والإخْبارُ عَنْهُ بهذا يُؤْذِنُ بأنَّهُم يَشْهَدونَهُ شُهودًا خاصًّا وهو شُهودُ الشَّيْءِ المَهولِ، إذْ منَ المَعْلوم أنْ لا يَقْصِدَ الإخْبارَ عَنْهُ بمُجَرَّدِ كَوْنِهِ مَرْئيًّا لكنَّ المُرادَ كَوْنُهُ مَرْئيًّا رُؤْيَةً خاصَّةً، ويَجوزُ أنْ يَكونَ المَشْهودُ بمَعْنَى المُحَقَّقِ أيْ مَشْهودٌ بوُقوعِهِ، كَما يُقالُ: حَقٌّ مَشْهودٌ، أيْ عَلَيْهِ شُهودٌ لا يُسْتَطاعُ إنْكارُهُ، واضِحٌ لِلْعِيانِ ويَجوزُ أنْ يَكونَ المَشْهودُ بمَعْنَى كَثيرِ الشّاهِدينَ إيّاهُ لِشُهْرَتِهِ، كَقولِهِمْ: لِفُلانٍ مَجْلِسٌ مَشْهودٌ"[2].

نكتةُ إيثار لفظ الشّهادة:

الشّهادة تقتضي العلم بالمشهود فـتـقـتـضي الحضور

من الإمكان أن يقال في غير القرآن: يوم معروف أو مشهور، أو معلوم أو محضور، أمّا المعروف فهو معروف وإنْ عرفه واحد، والمشهور هو المعروف عند الجماعة الكثيرة، ومن هنا يقال: هذا معروف عند

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/138.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/160.

زيد، ولا يقال: مشهور عنده، ولكن مشهور عند القوم، أمّا المعلوم فالمشهور أخصُّ منه، وذلك أنَّ الشّهادة علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها، والشّاهد نقيض الغائب في المعنى، فالشّهادة علم يتناول الموجود، والعلم يتناول الموجود المعدوم. وأمّا المحضور فإنَّ الحضور لا يقتضي العلم بالمحضور ألا ترى أنَّه يقال: حضره الموت ولا يقال شهده الموت إذ لا يصحّ وصف الموت بالعلم، وأمّا الإحضار فإنَّه يدلّ على سخط وغضب، والشّاهد للشَّيء يقتضي أنَّه عالم به، ولهذا قيل: الشّهادة على الحقوق لأنَّها لا تصحّ إلا مع العلم بها وذلك أنَّ أصل الشّهادة الرؤية وقد شاهدتّ الشَّيء رأيته، والشَّهد: العسل على ما شوهد في موضعه، وقال بعضهم: الشّهادة في الأصل إدراك الشَّيء من جهة سمع أو رؤية فالشّهادة تقتضي العلم بالمشهود[1].

دلالةُ استعمالِ صيغةِ المفعولِ:

تهويلُ يومِ القيامةِ بكثرةِ الشُّهودِ استقصاءً لا غلبةً

استعمال صيغةِ المفعول في قوله تعالى: ﴿مَّشْهُودٌ﴾ لما فيه من الدّلالة على ثبوت معنى الشّهادة لليوم، والمراد بالمشهود: الذي كثُر شاهدوه، والغرض من ذلك، وصف هذا اليوم بالهول والعظم وتميّزه من بين الأيّام، بأنَّه اليوم الذي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد[2].

قال الزَّمخشري: "فإن قلت: لأيّ فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنَّه يوم لا بدّ من أن يكون ميعادًا مضروبًا لجمع النّاس له، وأنَّه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضًا لإسناد الجمع إلى النّاس، وأنَّهم لا ينفكّون منه يَوْمٌ مَشْهودٌ أي: مشهود فيه، فاتَّسع في الظَّرف بإجرائه مجرى المفعول به.

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 97، 98 بتصرف.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/273.

فإن قلت: فما منعك أن تجعل اليوم مشهودًا في نفسه دون أن تجعله مشهودًا فيه، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: 185]؟ قلت: الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميّزه من بين الأيام، فإن جعلته مشهودًا في نفسه فسائر الأيّام كذلك مشهودات كلّها، ولكن يجعل مشهودًا فيه حتَّى يحصل التَّميّز كما تميّز يوم الجمعة عن أيّام الأسبوع بكونه مشهودًا فيه دونها، ولم يجز أن يكون مشهودًا في نفسه، لأنَّ سائر أيّام الأسبوع مثله يشهدها كلُّ مَن يشهده"[1].

موقع جملة الاعتراضِ في النَّظم:

بيانُ سببِ تأخيرِ البعثِ للحسابِ لا للنِّسيان

وقعت هذه الجملةُ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾ "مُعْتَرِضَةً بين جملة ذلك ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ وبين جملة ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾. والمَقْصودُ: الرَّدُّ على المُنْكِرينَ لِلْبَعْثِ مُسْتَدِلّينَ بتَأْخيرِ وُقوعِهِ في حينِ تَكْذيبِهِم بِهِ يَحْسَبونَ أنَّ تَكْذيبَهُم بِهِ يَغيظُ اللهَ تعالَى، فيُعَجِّلُهُ لهُم جَهْلًا منْهُم بمَقام الإلَهيَّةِ، فبَيَّنَ اللهُ لهُم أنَّ تَأْخيرَهُ إلى أجَلٍ حَدَّدَهُ اللهُ لهُ منْ يَوْم خَلْقِ العالَم كَما حَدَّدَ آجالَ الأحْياءِ، فيَكونُ هذا كَقولِهِ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠﴾ [سبأ: 29 - 30]"[2].

سرُّ استعمال صيغة المضارع:

تجديدُ مفهومِ التَّأخيرِ في أذهانِ المخاطَبين

يأتي التَّعبير بالفعل المضارع ﴿نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ في موضع الماضي للدّلالة على التَّجدُّد والاستمرار في أذهانِ المخاطَبين، مع استحضار الصّورة الماضية لهذا المؤخَّر، ومجيء الفعل بالنون للتعظيم والتَّشريف.

(1) الزَّمخشري، الكشاف: 2/293، 292.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/160.

معنى اللّام ودلالتها:

انـتـظـارُ الأجـلِ لأجـلٍ عندَ الله معلوم

"الأَجَلُ غايَةُ الوقْتِ في مَحَلِّ الدَّيْنِ وغَيْرِهِ"[1]، وهو الوقت المضروب لانتهاء مدَّة معيَّنة، فأجل الإنسان: هو الوقت المحدَّد لانقضاء عمره[2]. واللّام في قوله تعالى: ﴿لِأَجَلٍ﴾، إمّا أن تكون للتَّوقيتِ، وقيل: تدل على الغرض وأنَّ الحكمة اقتضت التَّأخير ولذا عدل عن إلى إليها[3].

نكتةُ إيثارِ لفظِ ﴿مَّعْدُودٍ﴾:

المعدود المضروب لانتهاء مـدّة لا زيـادة فيها ولا نقصان

المراد بالمعدود، المعلوم عند الله تعالى، فهو على حذف مضاف ومعناه: إلّا لانتهاء مدَّة معدودة، والعَدَدُ: آحاد مركّبة، وقيل: تركيب الآحاد، وهما واحد، فذِكْرُهُ للعَدَدِ تنبيهٌ على كثرتها، والعَدُّ ضمُّ الأعْدادِ بعضها إلى بعض، ويتجوّز بالعَدِّ على أوجه، يقال: شيءٌ مَعْدودٌ ومحصور، للقليل مقابلة لما لا يحصى كثرة، ويقال على الضّدّ من ذلك، نحو: جيشٌ عَديدٌ: كثيرٌ، وإنَّهم لذو عَدَدٍ، أي: هم بحيث يجب أن يُعَدّوا كثرةً، فيقال في القليل: هو شيء غير مَعْدودٍ"[4]، فلمّا قال معدود، فُهِم أنَّ المراد هو عدُّ الأيّام بدقَّةٍ.

قال ابن منظور: "وإنَّما سُمّي الحِسابُ في المُعامَلاتِ حِسابًا، لأنَّهُ يُعلم بهِ ما فيهِ كِفايةٌ ليْسَ فيهِ زيادةٌ على المقْدار ولا نُقْصان والمَعْدود مَحْسوبٌ وحَسَبٌ أيضًا، وهو فعَلٌ بمَعْنَى مَفْعولٍ، مثْلُ نَفَضٍ بمَعْنَى مَنْفوضٍ، ومنْهُ قَوْلُهُم ليَكُنْ عَمَلُكَ بحَسَبِ ذلك، أي على قَدْرِه وعَدَدِه"[5]. فاستعمال المعدود هنا أبلغ لكونه مقيّدًا بمدَّة منتهية معيَّنة لا زيادة فيها ولا نقصان.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجل).
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/274.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/139، 138.
(4) الرّاغب، المفردات: (عدَّ).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (حسب).

الكناية في قوله: ﴿مَّعۡدُودٍ﴾:

كـلُّ مـعـدودٍ قـريـبٌ بشرى للمظلومين

أُطْلِقَ التَّعبير هُنا بلفظ الأجل المعدود كِنايَةً عَن المُعَيَّن المَضْبوطِ بحَيْثُ لا يَتَأخَّرُ ولا يَتَقَدَّمُ لِأنَّ المَعْدودَ يَلْزَمُهُ التَّعَيُّنُ، أو كِنايَةً عَن القرب[1]، "فالعَدُّ كناية عن القلة، وقد يجعل كناية عن التَّناهي، والأجل عبارة عن جميع المدَّة المعيَّنة للشَّيء، وقد يطلق على نهايتها"[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشُّهود والحضور والتَّحقُّق:

الشُّهودُ حضورٌ مرتبطٌ بالعلم، والحضورُ لا يُشترط فيه العلم، والتَّحقق إثباتُ المشهود به

الشُّهود: الشهيد هو الذي لا يَغيبُ عَنْ عِلْمه شيءٌ، والشَّهادَة خَبرٌ قاطعٌ[3]، والحُضورُ: نَقيضُ المَغيب والغَيْبةِ[4].

فالمشهود يقتضي حضورًا قويًّا بعلْم، وذلك أن أصل الشَّهادة إدراك الشيء بالرؤية أو السّماع، فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود، والحضور لا يقتضي العلم بالمحضور، ألا ترى أنَّه يقال: حضره الموت، ولا يقال: شهده الموت، إذ لا يصحّ وصف الموت بالعلم، وأمّا الإحضار فإنَّه يدلّ على سخط وغضب، والشاهد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ [القصص: 61].

أمّا التَّحقّق: فأصل الحَقّ: المطابقة والموافقة، والحقيقة تستعمل تارة في الشَّيء الذي له ثبات ووجود، وتارة تستعمل في الاعتقاد كما تقدّم، وتارة في العمل وفي القول[5].

وممّا سبق يتبين دقّة البلاغة القرآنية في اصطفاء لفظ ﴿مَّشۡهُودٌ﴾ للدّلالة على الحضور الجماعيّ، والإدراك الحقيقي، واليقظة التامّة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/160.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/139، 138 بتصرف.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (حضر).
(5) الرّاغب، المفردات: (حقّ) بتصرف.

المعدود والمحسوب:

المعدود هو الأجل المعلوم المحدَّد بمدَّة معيَّنة فلا يزيد عليها ولا ينقص عنها ولا يتأخّر، ويقال: شيء معدود ومحصور للقليل مقابلة لما لا يُحصَى كثرة[1].

المعدود: هو الأجل المعلوم المحدَّد جملةً وتفصيلًا والمحسوب: جمع لما تحصّل

والمحسوب: من الحساب، وإنَّما سُمّي الحِسابُ في المُعامَلاتِ حِسابًا، لأنهُ يُعلم بهِ ما فيهِ كِفايةٌ ليْسَ فيهِ زيادةٌ على المقْدار ولا نُقْصان، والمَعْدود مَحْسوبٌ وحَسَبٌ أيضًا، وهو فعْلٌ بمَعْنَى مَفْعولٍ، مثْلُ نَفَضٍ بمَعْنَى مَنْفوضٍ، ومنْهُ قَوْلُهُمْ: ليَكُنْ عَمَلُكَ بحَسَبِ ذلك، أي على قَدْرِه وعَدَدِه"[2]. فالمعنى المحوريّ لحسب هو جمع ما هو منتشر في حيّز يضمّه حتى يمتلئ به[3].

كما أنَّ المعنى المحوريّ لعدَّ هو توالي جنس الشيء متّصلًا منضبطًا فيكثر، ومنه عَدّ الشيء يَعُدّه أحصاه؛ أي: بيَّنَ وضبط كثرة أفراده واتّصال طولها، إذ العدّ يتمّ بسَردها واحدًا واحدًا ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ [مريم: 84] يعني أنَّ الأنفاس تُحْصَى إحصاءً ولها عدد معلوم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: 34]، وفي الإحصاء حَصْرُ الشيء عَدًّا ببلوغ آخر ما هو منه، في حين أنَّ العدّ سَرْدُ بعض الأشياء تِلْو بعضها (الموجود منها) ولا يستلزم بلوغ آخر جنسها[4].

فالملاحظ أنّ المعدود والمحسوب لفظان متقاربان في المعنى، غير أنّ للسّياق القرآنيّ مرآته الصافية في استخلاص الفروق الدقيقة بين الألفاظ، فالمعدود فيه معنى المقدَّر جملةً وتفصيلًا، والمحسوب هو المجموع.

(1) الرّاغب، المفردات: (عدَّ) بتصرف.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (حسب).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (حسب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عدَّ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»